... أيام تمر . ايام لا قيمة لها في عمري الا من حيث انها تدنيني سريعاً من آخر الشهر .

وان آخر الشهر لينقلب في بيتي الى تصفية طابق افلاسي ، يتوزعه الدائنون فيما بينهم ، فلا يخلقون لي وهم يغادرون البيت بعد ظهر اليوم نفسه ، سوى حسرة من يقبض الريح ، او يرتمي ظمأ على سراب . وقد يرتقب الناس يوماً واحداً كل شهر ، او اربعة ، او عشرة ، وأنا الذي فاتني حتى خداع الأوهام ، ماذا ارتجي ، وماذا ارتقب ؟!

٣٠ شباط — قضي الأمر . كنت اعلل النفس حتى ظهر اليوم ، بحسم جزء من راتبي ، عقاباً لي على تمرّدي ، والاخلال بدوامي ، وكان ما عللت به نفسي خداع مخيلة كليلة ، مخيلة موظف ... ! لقد تسلمت راتبي كاملا ، وللمرة الأولى اردت ارادة صحيحة ان اتسلمه ناقصاً ... ذهبت ثورتي هدراً ، وكم كنت اود لو يعرف الملأ انني متمرد وقادر على رفع انفي فوق النظام . ثم ان للعقاب طعماً حريفاً لذيذاً ، كنت اود لو اتذوق منه ، فالعقاب على ما اتصور غذاء لروح التمرد ، أو هو سوط لاذع ، قد يلهب جلود من فقدوا الاحساس ، او قد يترك على الأقل اثراً في اجسادهم لا يترك مثله على قفا بغل او حمار .

٢ آذار — لم أقوَ على كتمان محاولة التمرد بقصد القصاص ، فسردتها على صديقي زاهد . اجابني الصديق وهو يتأمل فيّ : لن تكون الثورات هكذا .. ما فعلت ان هو الا فقاقيع ! ثم اعرض عني وانصرف . وزاهد هذا ، هو اول من فطن الى ميلاد (الانسان الغريب) في حياتي . امن أجل هذا يجفوني ، ويهرب من لقائي ، وأنا الذي اريد أن انظر في غريزته الصافية كالمرآة ، وجه نفسي ... كل يوم ... وكل ساعة .

زاهد ! زاهد .. لماذا تتجنبني ؟؟ قلت لن تكون الثورات هكذا يا صديقي . اذن كيف تكون ؟ ! قل كيف تتكون ، وكيف يجري بها المخاض ؟! ما هي آثارها ماهي اعراضها ؟ يبدو لي انني ذو جنّة ، وكثيراً ما اشعر بتفاهة نفسي وحقارتها فما هذا الذي يجري تحت إهابي ؟ وما هذا الذي يأكل أحشائي ولماذا اتعذب ؟

* * *

ذات ليلة — ضاعفت مطالعاتي ، خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة ، وكثرت خلواتي الى كتبي ، وكان من ذلك ان كدت اهجر المقهى ، واصبحت لا اشك في ان المرأة تكره الرجل الذي يلازم البيت ، وعلى الأخص اذا كان يلازم الكتب في البيت . ماذا اصنع ؟!

ليس لي يد في كل ما يحدث . لأقرر هذا قراراً حاسماً . ثم ان وجوه من حولي ، هنا ، في الطريق ، في المقهى ، في الديوان ، تشعرني بما يحدث في ، اكثر مما اشعر انا باحداث ذاتي . أأكون قد اصبحت كريهاً الى حد لا تطيقني معه زوجتي ؟ !

يصدر قريباً عن دار الآداب رواية طويلة للاديب السوري الكبير الاستاذ فؤاد الشايب عنوانها « اوراقي » هي نوع جديد في الرواية لم يعرفه الادب العربي المعاصر .

ويسرّ « الآداب » ان تنشر هنا بعض « اوراق » هذه الرواية الجديدة .

لا ادري !

٢٣ – لماذا يكرهني وصفي افندي ؟ اما اعتذرت له ، وارضيت كبرياءه ؟ أما حنيت له ظهري وقامتي ! أما كفى ذلك اقراراً بعلو رتبته عن رتبتي وقدره عن قدري . ولماذا يجد علي كأنني قاتل ابيه المرحوم حافظ بك ؟!

هذا هو وصفي افندي على الضبط : شاب يقارب الاربعين ، هزيل اللحم ، ثخين العظم ، ابيض الوجه مشرب بصفرة مسمومة ، عيناه صفراوان كعيني حية ، ولاريب عندي انه مكبود. أما ابوه فيكفي ان تقول: حافظ بك القائم مقام في العهد التركي . ويقوم وصفي افندي اليوم باعمال التدقيق في الديوان ، ويلي رئيس الديوان رتبة وراتباً ، ولما كان رئيس الديوان على جانب من الدماثة والطلاوة – اي الضعف – لاسيما في تعامله مع ابناء العائلات .. صحّ القول ان رئيس الديوان هو وصفي افندي نفسه ، وهو المرشح الوحيد للرئاسة عندما يصاب رئيس الديوان بنزلة صدرية ، او بالبروستات ، او عندما يأمر الوزير باحالته الى مستودع الجثث ، ولو كان سليماً معافى .

قال لي زاهد ، ونحن نغادر الديوان ، عند انتهاء الدوام : لقد اردتني هذا الشهر أن اراقب كل نأمة تصدر عنك ، لأنني كما صارحتك ، اشعر انك تغدو انساناً غريباً .. اسمع : ان سبب حقد وصفي افندي عليك هو قحة في نظراتك لا يطيقها الرؤساء ..

٢٤ – دخلت الديوان صباحاً ، وقد تكيّست بالتواضع ، وطليت وجهي بالنفاق ، وزينت بالابتسامة الرخيصة جمجمتي حتى غدت كرأس خروف محلوق نظيف ، يقدمه بائعه للمارة وقد دس في منخريه عرقي بقدونس – وصافحت وصفي بك قبل ان احيي الرئيس افندي ، وسألت عما اذا كان ثمة عمل مستعجل ، او معاملة تقتضي التفرّغ لها ، فشكرني المرشح لرئاسة الديوان شكراً انيقاً ، ما لبثت بعده ان لازمت مكتبي وجثمت بكل نصفي الأعلى فوق الأوراق ، وغرقت في ذهول يشبه النعاس . كذا يكون العدل: لقد أمنت فنمت !

ثم .. لقد اثار فضولي اليوم ، اضطراب الضارب على الآلة الكاتبة ، زميلي السيد مكتوبجي ، بينما كنت اراقبه بعيني اليسرى مراقبة خفيّة ، وأنا على ما وصفت من ذهول ، وطمأنينة. لقد كان اصفر الوجنتين ، أحمر الأذنين، مضطرب النظرات ثقيل الانفاس ، يشتغل بلا انقطاع منذ الساعة الثالثة ، ويكوم امامه الأوراق التي فرغ من نسخها . وكان يخبط ارقام الآلة خبطاً عصبياً ، حتى لو كانت أمامه ملامس البيانو مثلا ، لأخرج منها لحناً مجنوناً ! إخاله قد شرب كثيراً ، واصطبح اصطباح سكيرنهم . ولقد دأب يشعل اللفافة من اللفافة ، حتى تراكمت في الصحن امامه كومة من الاعقاب . على انه مع اضطرابه كان حذراً ، يوزع على الديوان نظرات حيطة وخوف .. فاغمضت عيني اليسرى نصف اغماضة ولبثت اتبع حركاته . وبعد بضع دقائق شاهدت المسكين يلقي آخر نظراته على زملائه اللاهين عنه باعمالهم ، ثم يأخذ صحن الأعقاب بخفة متمرن حاذق ، فيفرغه في جيبه ، ويخرج من الجيب الآخر بنفس السرعة علبة البافرة ، ليستل منها لفافة يشعلها من عقب ، ويطفق يدخن .. ويستمر ضارباً على الآلة الكاتبة بسرعة ترتج لها الأعصاب. ولقد داخلني اضطراب السيد مكتوبجي ، فأخذ قلبي بالارتجاج والقفز كأني أنا الذي اخفي الاعقاب ، لافرطها في خلوتي ، بعيداً عن عيون الناس واشربها دخاناً حاداً مراً ! !

فيا للقارة المعتمة التي نعيش نحن البؤساء في زواياها ، فاذا خرجنا الى الناس ، خرجنا اليهم من واجهات فاخرة ، ومسارح خادعة الأنوار !

نيسان – ويل لي ثم ويل لي ! ماذا يكون مصيري ، وما تكون تلك الأعماق التي سترسب بها حياتي ؟!

أأظل مستلقياً على ظهري ، مجروفاً في التيار حتى اتردى في هوة ليس لها قرار ؟؟

منذ ايام قابلت مصيري وجهاً لوجه ، فانتفض قلبي ، واضطرب كياني ، منذ ايام ، في الرواق المعتم ، حيث الغرفة الأخيرة التي تتخذها وزارة الـ ... ديواناً لها ، وقفت امام (ابو سامي) ولم اكن قد رأيته منذ شهور . قال لي ولم يكد يتلقى سلامي : اعلمت ؟! قلت ماذا ؟! قال سأحال على التقاعد في نهاية هذا الشهر . قلت وانا اتطلع الى اسارير الستين في وجهه الذابل الممرغ بالبؤس : ولماذا ؟! قال : هيه .. انا نشيط ، قوي ، وهم يقولون انني لم ابق صالحاً للعمل .. وماذا عسى افعل ولي اولاد ماكاد ريشهم ان ينبت . قلت وقد احزنني على نفسه ونفسي : هوّن عليك ..هون عليك ..

فاستند الى الجدار وراح يلقي علي نظرات كلب يغرق : وكيف اهون علي ؟ ويل لنا نحن مستخدمي الدولة، وموظفيها . نبذل زهرة الشباب رخيصة تحت الأقدام .. الأقدام الغلاظ ، فاذا شخنا ، تعففت عن وطئنا الأقدام نفسها . فليت نظام النهاية في حياتنا رصاصة تمخر الرأس وتمزق الدماغ .. لتنقذ كرامة الانسان ! ايكون بعض البغال والأحصنة افضل منا ، واكرم مماتاً ؟!

وابتسم ابو سامي ، كأنه يعتذر ، عن استيقافه لي واشغالي بمشاغله . ابتسم كما كان يبتسم دائماً ، كما تعود ان يبتسم منذ الأزل ، منذ خمسة وثلاثين عاماً ، ثم ضحك وغصة البكاء في حلقه ، فرأيت البؤس يفغر فمه في هذه الابتسامة الشقية ! فمن رأى مثلي الشيخوخة ذليلة تبكي ؟!

نعم . في ذلك الزقاق المظلم الزنخ ، وفي عيني ابي سامي رأيت مصيري . فويل لي !

.. دقت الساعة الثانية بعد نصف الليل ، وأنا في زاوية من غرفة المريض ، اكتب مرة ، واحدق في وجه ابي مرة . لقد كان ينام نوماً هادئاً ، رغم صعوبة تنفسه من انفه ، بعد ان دقت صدره عند الغروب نوبة عنيفة .

وفجأة فتح العجوز عينيه ، فما كاد يراني ، حتى جمد بصره علي دون ان ينبس ، فسارعت الى جانبه وسألت عما به ، وهل يحتاج الى عناية . قال وما انفك مثبتاً فيّ عينيه : الا تزال ساهراً يا ولدي ؟ قلت انا ذاهب وسأرسل سعاد لتمكث هنا فيما تبقى من الليل . قال : لا حاجة .. أنا براحة ، احمد الله ، احمد الله . ثم اشار ان ارفعني ، فأجلسته وسندت ظهره بالوسائد ، وجلست قبالته على طرف السرير .

قال وهو يومئ الى الدفتر : ماذا تفعل كل ليلة في هذا ... اساهر انت حتى هذه الساعة تكتب ؟ قلت على الفور : انا ساهر من اجل راحتك .. قال : انا راض عنك ، فليرض الله ، وماذا تكتب ؟! قلت : احسّن خطي . وأمرّن يدي . قال حسناً تفعل . ان الخط الجميل كالسيف الصقيل ، كفيل بان يقربك من الملوك ، ويجعل لك حظوة عند الأمراء والرؤساء فاطرقت ولم أجب . وعاد يقول : ولكن خطك رديء . قلت رديء ؟! قال نعم لقد قرأت خطك ، نسيت دفترك البارحة عندي . قلت سأحسنه مع الوقت وبالتمرين . قال يا ابني حسّن ظنونك بالناس . قلت لا افهم ما تقول . قال ولا أنا فهمت كل ما تكتب ، ولكنني فهمت اذا صح ظني ، وكان ما تكتبه صحيحاً ، انك تكاد تكرهني ، وتكره زوجك ، وتكره الوظيفة . ووقفت لأقاطعه ، وقد راعني ان يقع دفتري بين يديه ، فسبقني الى الكلام واشار لي بيده : استرح يا ولدي واسمع . انك تبدو لي غريباً في هذه الأيام ، وكنت استطيع ان افهم بأن تبدل احوالك ، منوط بسبب ما .. لا اعلم .. الى هذا الدفتر الذي تكتب عليه كل يوم ، منصرفاً عن شؤون بيتك وزوجتك وولدك ، فاعذرني اذا لم اقو البارحة على كبح فضول النفس فرحت قارئاً في دفترك رغم انني مريض .. ليحرسك الله بعنايته يا ولدي .. انك تهذي ، ولا اعلم قيمة ما تكتب وما غايته .. فكأن الشيطان يتكلم فيك والعياذ بالله ، أو كأن شخصاً سواك يقول وانت تسجل . على انني استطعت ان اطلع على رأيك في اهلك وذويك ، وعملك ! اصحيح ما تقول ؟!

نهضت ثانية وفي فمي كلام ، فاستوقفني باشارة من يده وأكمل : انك مضطرب ، ولا تنكر ان حياتك قد داخلها وسواس غريب . انا لا احسن الكتابة يا ابني ، فجيلي جيل ناس كانت الكتابة في حياتهم للزينة احياناً ، ولتفهم اقوال الله غالباً ، وجيلكم جيل مدارس وشهادات وعلوم واضطراب وكفر وتشويه اقوال الله . ثم اني لم افهم ما تكتبه هنا .. على الضبط ، فيكفيني ان اعيش معك لأقرأ في جبينك . اصحيح ما تتوهمه صحيحاً ، اصحيح ان اسباب هناءتك ورغدك ، وجاهك ، اصبحت عوائق في سبيل راحتك ولا ادري ماذا تقول ؟ ازوجك الصالحة ، ام وظيفتك الشريفة ، ام ابوك الذي يحبك ويبكي من اجلك وهو مريض !

واحسست ان صوت العجوز يختنق في صدره تعباً وحزناً فقمت اليه لامسك بكتفيه واقول : خذني بحلمك يا ابي ، انني الهو ، ازجي الفراغ ، اتمرن على الانشاء والخط ، احاول .. احاول .. وانت لا تجهل قدر احترامي لك . وأما الوظيفة .. ..

فقاطعني : أما انا يا ابني فشيء زائل . لا تجد علي اذا لم احلف لك سوى الفقر ، فقد شقيت كثيراً حتى رأيتك مطمئن البال ، مضمون المستقبل . أما وظيفتك فأحرص عليها لأنها جاهك وسبيل عيشك ، ولا تفرط بامرأتك الصالحة ، فانها شرفك وشريكة عمرك .

قلت وانا اضجعه ثانية في فراشه : نم ابي نم وثق بانني سارضيك . استرح .. انا ذاهب .

واطفأت الضوء ، وتأبطت الدفتر وخرجت منهزماً . وفي غرفة المثوى العائلي ، انرت المصباح الخافت فوق سريري ورحت اقلب الدفتر ، لأقرأ ما سجلته في أبي وزوجتي .. هل اغلظت فيهما القول ؟! قال لي العجوز انوسواساً يداخلني، عندماقرأقولي: ليس لي يدٌ في كل ما يحدث. وهل لي يد ؟ وهل داخليوسواس ؟ اصحيح ما ادعيه صحيحاً ! لقد شعر (هو) ايضاً بميلاد الأنسان الغريب في حياتي، وحقاً انه لامر عجيب ! ألي يد فيما يحدث ؟.

واحسست بعيني ترقبانني فانتفضت ونظرت حولي ، وكانت سعاد زوجي تنظر نحوي فقالت :أناديك ولا تسمع. قلت أنا ؟؟ وعدت استدرك : اوف .. أنا منهوك ، منهوك . فقالت : أساهر بعد حتى هذه الساعة ! اجبت كنت ألازم والدي . وعادت لتسأل : كيف هو الآن . ؟ فاخذت اردد الحمد لله ، وتردد معي الحمد ، كأننا في صلاة او في حلم صلاة ، وتركت رأسها يستريح ثانية الى الوسادة ، وماهي الا بضع دقائق حتى رأيت اساريرها تركد في وجهها ركوداً حزيناً وتنام ، وكان الطفل يضع يده الصغيرة في نحرها راضياً مطمئناً . ولبثت طويلا في زاويتي احدق في هذه الزاوية المعتمة حيث ينام الطفل والأم ، وكأن بيني وبينهما وادياً من ضباب .. !

من الراقدان في فراشي .. ! من الزائران ! من هما ؟!

١٢ ــ انا مريض ، مغلق .. مغلق .

١٣ ــ مغلق دائماً . ليمر النهار والليل الى جهنم .. لتمر الأيام سريعاً .

١٤ ــ أبلّ أبي ابلالا حسناً ، وقربت سعاد مقعده الواسع من النافذة الغربية ، ولبث بعد الظهريصطلي شمس الربيع الحلوة . صعدت نحو غرفته ، وكان ابني في حضنه وسعاد وراءه ، فماكدت البث قليلا حتى خرجا .

قال والدي : انت نشيط اليوم . احسب ان السهر لا يواتي مزاجك ، اليس كذلك ؟ قلت هو كذلك يا أبي ! قال : أتريد ان تقول شيئاً ؟ قلت : حزرت .. هل علمت سعاد بقصة الدفتر ؟ فضحك العجوز ضحكة عالية ، خفت ان تنقلب الى نوبة سعال ، كالعادة ، واجاب : قصة الدفتر ! احمد الله ان سعاد لا تحسن القراءة ، ولكن مزاجك .. مزاجك ، شيء يقرأ . ثم اطرق وأكمل : انا مسرور على كل حال ، لأنك تخشى سعاد .. قلت على الفور : اخشى من يا والدي ؟ قال وهو يبتسم : سعاد .. سعاد زوجك .

اطرقت ريثاً ، وكنت حقاً اسائل نفسي :أأخشى سعاد ولماذا ؟! وكان والدي ينجز حديثه : لا بأس عليك ايها البطل ، فليس في خشيتها من عار . انها صالحة فاتق الله فيها .

قلت وكنت اخاطب نفسي : صالحة .. بلى . لذلك اريد ان اتعذب وحدي .

فانتفض العجوز ، بعد صمت ثوان ، وهيأ كلاماً بعد تقطيب .. ولكنني كنت قد خرجت .

ذات يوم من نيسان :

غادرت البيت فور طعام الغداء ، وكان في وجهي وحركاتي بعض الارتباك ، كما اظن ، ولبثت سعاد تتابعني بنظراتها من وراء زجاج النافذة ، حتى تواريت في منحنى الزقاق . كنت اقصد الى مقهى الحي ، لأرمي نفسي في جلبته وانسى هواجسي بين قرقعة النرد ولغط السكان ، وصياح الغلمان ، هرباً من العزلة ، وفراراً من لقاء الانسان الغريب وحدي .

كنت اتطلع في المرآة مساء أمس، فهالني ما رأيت ، وأي وجه ! لقد كان الغريب ينظر الى وجهي بعينين سوداوين جامدتين كأنهما محفورتان حفراً في صفيحة من الخشب ، وكان الجبين داكناً ، ينفر في جانبيه عرقان متعرجان ، يرفدانه بالنضح الغزير ، فقلبت المرآة على وجهها وغادرت العزلة الى الغرفة العائلية ، حيث لبثت الاعب الطفل حتى غلبني النعاس .

لم اطق المقهى ،لقد كان المدخنون يزفرون في رئتي ، ولاعبو النرد يرجمون بحجارتهم صدغي ، وكان صياح الغلمان يمزق صدري ، وسقف المقهى الداخن يطبق على رأسي ، وفي غمرة من الناس والدخان واللغط وجدتني وحيداً .

مشيت مع (بردى) صعداً نحو (الربوة) ، وتلك مشية من احب نزهاتي إلي منذ كنت طفلا . وكان الهواء البارد يدفعني فامشي في تياره، ويطيب لي ان اترك نفسي الى موجاته .

هاهي آثار اقدام الشتاء الهارب ، ترسم في حيز الحقول

حفراً متلاحقة ، يتابعها الربيع الجديد ، فيغرس فيها ويبذر ، وينبت من الحياة الواناً . ولقد ترك الشقاء مزقاً من قميصه وهو ينهزم ، فعلقت بعوسجة الزيزفون ، وبشجرة الشمس فهنا تبرعم العيون الخضر ، وهناك تفوّر النجوم البيض ، علم الهزيمة الممزق .. وكلما تفتح الشتاء في الهواء صقيعاً وقراً ، زق الربيع فيه شمساً ودفئاً ، فكأنني من هواء هذا الأصيل على موجتين تتواثبان وتصطرعان ، وتهدهدان لي على توازن وانسجام . فاه ما احلى الحياة ! وما أجملها في تعاقب فصولها ، وتقلب احوالها ، وتزاحم عصورها ، وما أتمّ خلقهافي تموج الوانها ، وانسجامتموجها ، ولكم تجلت الوحدة في هذا التعدد وكم حسن الانسجام في هذا التناقض .

.. انغام علوية ، تنصب في مسمعي وانها لألطف انسجام القته نبرات مختلفة ، تهب من هدير الأمواه ، وعناق الاغصان وحفيف اجنحة الزهور ، وهميس الريح ، ونشيش الشلال البعيد ، حتى ان ثغاء الماعز ، وعواء الكلب ، وصوت الفأس تضرب في جذع شجرة ، اصوات تحس الأذن الا غنى عنها ، لتؤلف مع هذا الخليط الصوتي روعة الألفة والانسجام .

انني اسمع الموسيقا في كلّ مايهوم في اذني من اصداء ، وأرى الموسيقا في كل ما يتنافر أمام بصري من مشاهدومرئيات ، بل في كل ما أرى واسمع ، وفي كل ما خلقه الله ، وابدعه الانسان ، أرى الوحدة في التعدد ، والانسجام في التناقض ، ارى الحركة بين الجهد والمقاومة ، والجذب والدفع ، والمد والجزر من وراء كل بناء ، وتوازن وانسجام ، ولولا الدفع والمقاومة ما كان في كون الله حياة ، ولا في حياة الانسان وقفة جمال ورقي ! فلاأروّ سمعي ، ولأترع بصري ، ولأملأ ساحات نفسي ! اواه لو كان لي الف عين والف اذن !

اواه انا الظمئ وكل ما حولي فيض وريّ . أنا المهيوم وكل ما حولي ماء ورواء . انا الجماد وكل ما حولي حركة وحياة . أنا الركود ، وكل ما حولي مد وجزر . أنا الركوع المحطم ، وكل ما حولي حرية وتوثب وانطلاق .

.. أيعيش يا ناس من يعوم كالطحلب على حفافي المستنقع ؟ ايتحرك من صُلب على عجلة لا تنفك تدور به على ذاته ؟!

اين العمل يغذي دمي بالنشاط ، واين الجهد يمدّ عضلاتي بالقوة ! اين الضنى يذيقني طعم السعادة ، واين القلق يلهب عروقي بالحماسة ! واين العناء يحبّب لي معاني الرجاء !

اين عرقُ جبيني .. واين دم قلبي ! الست انساناً !

فادخل يا هواء الصقيع رئتي الى نفسي ، فهناك في الأعماق ، في اسطبل وجداني المظلم ، تجثم أمام المعلف ، بقرة السعادة والطمأنينة ، تجتر في جو من الدفء والعفن والظلام .

سعادة مترهلة عجوز ، سمنتها القرون عبر القرون ، واشرف على علفها طبقاً لتقاليد الرعاة ، امي وابي وزوجي ، وولدي وكل من حولي ، نقدم لها مع التبن ذلا ، وتدر لنا مع الحليب التافه افيوناً .

كلمات .. اكتبها الساعة وانا مكب على دفتري ، وكانت تحشرج لاعجة في نفسي ، وتقرع مغالق صدري ، عندما كنت اسير مع بردى صعداً نحو الربوة ، وكان قلبي ينبض ، وقد طالما وضعت كفي على مثواه لاتحسس وجوده ، وكانت انفاسي تعتلج كانفاس حصان بلغ نهاية الشوط ظافراً .

كانت في ذاتي معاني هذه الكلمات وخيالاتها ، معان وخيالات تزخر في داخلي ، وترشق الأفق بخطاي عندما مشيت كراكض ملهوف ، اخطأ موعداً عزيزاً فلا افكر اين اذهب ، وفيم اجهد نفسي .

ومشيت حتى بضّت عروقي بالنضيح ، وقلبي غلت في مرجله الدماء ، واحسست بقطر من لهب ، تسير صافرة في كياني . ولاول مرة منذ سبعة اعوام ، منذ سبعمائة عام ، لمست كيف تنتظم مواصلات الحياة بين القلب والجسد ، وبين الدماغ والأطراف . وكنت قبل تلك الساعة ، مثل مدينة مسخ سكانها اصناماً ، واغلقت نوافذها دون النور : شرايين مقطعة ، واوردة مخنوقة بالمياه الآسنة ، قلب ينازع الحياة كروح المشنوق ، ودماغ منزوع يعوم في صحن حساء.

وغدا مشيي ركضاً خفيفاً ، ونبت لقدميّ جناحان ، وظل بردى ينحدر الى شمالي هوياً . وانه لينحدر بسرعة ، على قدر ما كنت اصعد بسرعة ، كأننا متسابقان ، ولكن ، كلٌ الى هدفه .

ركضت وركضت ، حتى اذاقني العرق طعم الملح والدم وتفتحت كل مساميّ حتى تنسمت روائح الدنيا .

وأنا الذي في بيتي لا اتذوق سوى طعم الخبز الذليل ، وفي السراي الكبير حيث اساكن وظيفتي ، وحيث لوصفي بلك على مكتبه آنية من البلور الثمين يضع فيها زهوره ـ ماتعودت سوى شم الورود المريضة ، ترسل لنا ابتساماتها وهي تموت .

دمشق **فؤاد الشايب**